

وحدة الأمة الإعلامية

إعداد:
د. محمد عبده يماني

صفحة أبيض

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي أكرمنا بهذا اللقاء في هذا البلد الذي انطلقت منه أول كلمة من السماء إلى الأرض: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، وقد أنزلت على خير البشر وسيد ولد آدم، الذي حمل الرسالة وبلغها للناس وأدى الأمانة، وسادت هذه الرسالة وبلغت ذروتها عندما التزمت الأمة بالقيم والمبادئ التي رباها عليها رسول الله ﷺ والذي نبه إلى أهمية أن تكون على سنته وأن نسير على هداياه، وأن نجعل القرآن دستور هذه الأمة، وأن نتمسك بالكتاب والسنة، فجاء التوجيه النبوي الشريف: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي» بل نبه إلى أبعد من ذلك، بأن نتمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» وأن نقتدي بالخلفتين من بعده: «اقتدوا بالخلفتين من بعدي أبي بكر وعمر». ثم جاء التوجيه النبوي الكريم لينبهنا إلى أن هناك ضعفاً وخوراً سيصيب الأمة وذلك بسبب عدم الاستقامة وعدم التمسك بالكتاب والسنة، وسوف نكون كثرة ولكن غثاء كغثاء السيل. ومن ينظر في الوقت الحاضر يلاحظ أبعاد التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية وفي مقدمتها عدم الاستقامة، فنحن بين مفرط ومغال حتى أننا أخذنا نبتعد عن أسس هذا الدين، واتجهنا نحو غلو ليس من الإسلام في شيء، أو تحلل وسقوط ليس من صفات هذه الأمة الراشدة، فقفز علينا الأعداء وتكالبوا: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

ومن ينظر بعمق يلاحظ أن البداية كانت من التحدي التعليمي، لأننا لم نرب أولادنا على هذا المنهج، وأخذنا نحشو أذهانهم بعبارات لا يفهمونها في بعض الأحيان، ولم نعد المدرس الصالح ولا البيئة المدرسية الصالحة، فأخذوا يبتعدون عن جوهر الدين وتسلط عليهم أعداء الأمة من خلال ألوان

من المؤثرات التربوية التي تبت من القنوات الإعلامية وتشوه الصورة الإسلامية، ونحن أعجز ما نكون عن توعيتهم، أو تأهيل أساتذتهم لتوعيتهم. ومن الناحية الأخرى نجد أن البيئة الدراسية غير قادرة على إعداد الجيل الصالح، فضلاً عن إكتشاف المبدعين، وهذا التحدي هو الذي أربك الأمة فأخذت الأجيال تتوالى جيلاً بعد جيل، دون أن تكون مؤهلة التأهيل الصحيح الذي يجعلها قادرة على العمل أو منتجة أو فاعلة، وإنما إعداد شباب يعيش على هامش الحياة .

وجاء التحدي الإعلامي ليكون الطامة الكبرى حيث استغل أعداء الأمة ضعف امكاناتنا، وقلة قدراتنا، فأخذوا يشوهون الإسلام في بلادهم أمام مواطنيهم في الغرب، واستفادوا من وسائل الإتصال الحديثة والقفزات التكنولوجية، فعملوا على غزونا في عقر دارنا .

ومن العجيب أننا نتابع هذا الأمر، وهذا الضرر، وهذا التشويه، في عجز وضعف وعدم تخطيط لرده أو حتى لدفع الظلم الذي وقع علينا، أو لتجلية صور الإسلام التي تم تشويهها لديهم، وعلى العكس من ذلك، فقد أنشأنا قنوات إعلامية كثيرة وكبيرة ولكن لا تؤدي الغرض المطلوب، بل قسم منها للعبث واللهو على حساب الكارثة التي تلم بالأمة وكأنا في غفلة عنها، وكلما نظرنا إلى تلك المئات من الأقمار الصناعية التي تجول في أنحاء الفضاء وتبث سمومها على الأرض تخوفنا أكثر .

ومن المؤسف حقاً أن نظام الإعلام العالمي الحالي بل وحتى المستقبلي القريب يتسم باختلال أساسي بسبب عدم التوازن الذي فرضته الدول الكبرى على عملية تبادل المعلومات، حتى أصبحت معظم البلاد النامية، وبصورة خاصة في عالمنا الإسلامي مجرد بلاد مستهلكة للمعلومات التي تصدر إليها، ولعل الصورة تكون أشد خطورة، والهوة أكثر إتساعاً إذا أخذنا في الإعتبار عصر الفضاء واستخدام الأقمار الصناعية ، وقد جاء هذا الاختلال وعدم التوازن بسبب الهيمنة التي تفرضها الدول المتقدمة من خلال

السيطرة التي تملكها، وخصوصاً عن طريق تملكها للتكنولوجيا الفنية العالية، وسبقها في هذه المجالات، وسبب تملك الدول المتقدمة وسيطرتها على هذه الأجهزة عن طريق الإستثمار المباشر فيها، وعن طريق إحتكار الإعلان، بطريقة أو أخرى في أنحاء متفرقة من العالم، وعن طريق سيطرتها على وكالات الأنباء والإعلان، حتى أصبحت عملية التمويل للأجهزة الفنية أدوات للسيطرة الثقافية، بل وقد تسبب في بعض الأحيان إلى ثقافة البلد المستقبل وتشوه تاريخه وحضارته، ومع ذلك فهو يستقبل برامجها، ويبيثها دون حول ولا قوة، وحتى في الحالات التي تتعارض مع قيمه، وقد تضر بجهود البلاد النامية ومخططاتها الإقتصادية.

ولعله من الواجب الإشارة إلى أن الدول المتقدمة تفرض عبر قنواتها الخاصة رؤية محددة على الدول النامية، وذلك بأن ترسل إليها عبر القنوات المعلومات على غير حقيقتها، فتركز على المشاكل والأزمات والإضطرابات والمظاهرات، وقد تعرضها بطريقة تدعو إلى السخرية أحياناً، وحتى في الوقت الذي تسعى فيه دول العالم الثالث إلى إظهار جهودها فلا يكون ذلك إلا عن طريق ملاحق صحفية مدفوعة الثمن.

وهكذا يرسخ الوضع الإعلامي الحالي بقاء نوع رديء من الإستعمار السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي عن طريق قنوات الاتصال والإعلام، ونراه يركز على أحداث تافهة أو بسيطة في الدول النامية ويضخمها ويكبرها ويهولها ويصوغها بطرق تخدم الصورة التي يريد تقديمها عن هذه الدول النامية.

وفي بعض الأحيان يلزمون الصمت عن أحداث معينة، لأنها لا تخدم مصالحهم، وهكذا لا تغطي أخبار الدول النامية بالقدر الذي يخدم مصالح هذه الدول ومجتمعاتها.

ثم يأتي موضوع توزيع مصدر الطيف، وهنا تبدو مشكلة حقيقية، لأن الدول المتقدمة حصلت على نصيب الأسد في مجال توزيع الذبذبات، وعمدت

إلى ترسيخ هذا الحق، أو الباطل الذي سمي حقاً، وذلك عن طريق مادة في نظام الإذاعات تنص على بقاء المصالح المكتسبة فيما يتعلق بتوزيع الطيف، ولهذا فإن الدول النامية أصبحت في ورطة، وأخذت تعاني من معضلات حقيقية وهي تبني محطاتها الإذاعية الجديدة، لأن جميع الذبذبات محتكرة، ولن تحصل هذه الدول الضعيفة إلا على ذبذبات رديئة لا تفي ولا حتى بالحد الأدنى اللازم لبث إذاعي جيد، وكأن هذه الدول الكبرى تسيطر على التراب الوطني لهذه البلاد النامية إذاعياً، وتحرمها من حقها في الانتشار داخل مجموعاتها القومية أو السياسية فضلاً عن الانتشار في العالم .

وكما يقول الأستاذ/مصطفى المصمودي، كاتب الدولة للإعلام التونسي (سابقاً): (ينتظر بسبب عدم وجود تنظيم فعال أن تزداد أوجه عدم المساواة الراهنة في هذا المجال، مع تدعيم حقوق الأقوياء بصورة يستحيل علاجها، وغني عن البيان أن تقدماً كبيراً جرى في هذا الميدان، بحيث أنه في غياب التنظيم الكافي يتوقع حدوث غزو حقيقي من الإذاعات والبرامج التلفزيونية يبلغ درجة إنتهاك الأراضي الوطنية والمساكن الخاصة ويمثل في الحقيقة شكلاً من أشكال إنتهاك العقول، ويتعين شجب هذا الخطر بكل الوسائل الممكنة)^(١) .

وهناك مشكلة الجوانب الفنية التي تضيف أعباء وعوائق كبيرة في عاتق الدول النامية، لأن طريقة الإستفادة من هذه القنوات في الماضي، وما صاحب ذلك من هياكل ونظم موروثه تجعل من الصعب على الدول النامية الإستفادة الصحيحة من هذه الإمكانيات، وتؤدي إلى حرمانها من إستخدام أمثل لقنوات الإتصال ويبدو الظلم والإجحاف واضحين عندما نلاحظ أن الدول المتقدمة تستفيد من أفضل قنوات الإتصال بتكاليف زهيدة لمجرد أنها سبقت تكنولوجيا دون أن تأخذ في الإعتبار حاجة هذه الدول النامية في الاستفادة نفسها، وعجزها عن دفع تكاليف مرتفعة، فالدول المتقدمة تستفيد بكمية

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام، وثيقة مقدمة من الأستاذ/مصطفى المصمودي، كاتب الدولة للإعلام التونسي، اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

أكبر، وقنوات إتصال أوسع، وبتكاليف زهيدة، وقد تمكنت الدول المتقدمة بفضل سبقها التكنولوجي ونظام رسوم المواصلات الدولية الذي أرسته من أن تستفيد من أوضاع وامتيازات إحتكارية، سواء عند تحديد فئات نقل المطبوعات والمواصلات السلكية واللاسلكية، أو في استخدام تكنولوجيا الإاصالات والمعلومات، وقد أخفقت آخر محاولات لمعالجة هذا الوضع مثل محاولات المؤتمر الإقليمي الإداري للإذاعة بالترددات المنخفضة والترددات المتوسطة ولاسيما في المنطقتين الأولى والثانية ولقد انحصر نتاج هذا المؤتمر في التصديق روتينياً على وضع واقعي ضار بمصالح البلاد الصغيرة.

ونأتي بعد ذلك إلى مشكلة التوايح الصناعية، لأن البلاد النامية ما تزال مهددة بالإستخدام الفوضوي للجو الخارجي مما قد يزيد من إختلال التوازن الذي يؤثر على شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية، وهناك مشكلة الترددات الإذاعية، حيث تبرز اليوم بصورة ملحة مشكلة تخصيص طيف الترددات، وهو مورد طبيعي عالمي لكنه محدود. والواقع أن البلدان النامية أكثر تصميماً اليوم من أي وقت مضى على أن تتحدى بقوة الحقوق التي ادعتها لنفسها الدول المتقدمة في إستخدامها طيف الترددات، كما أنها عازمة أيضاً على الحصول على نصيب عادل من هذا الطيف، ومن المعروف عامة أن عدداً قليلاً من الدول المتقدمة تسيطر على حوالي ٩٠٪ من مصدر الطيف. وأن البلدان النامية، وإن كانت تغطي مساحة أوسع امتداداً، إلا أنها تملك قنوات أقل مما تملكه البلاد المتقدمة. أما كثافة الطاقة لكل كيلومتر مربع، فهي أقل بمقدار أربع مرات في البلاد النامية منها في البلاد المتقدمة^(١).

فلا بد إذا، والحالة هذه، أن يتم تغيير جذري في النظام الحالي الذي يحكم العلاقات الإعلامية. وعملية الإتصال بين الدول المتقدمة والدول النامية بحيث تكون علاقة محترمة، وعادلة ولو إلى الحد الأدنى لاحترام

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام، وثيقة مقدمة من الأستاذ/مصطفى المصمودي، كاتب الدولة للإعلام التونسي، اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

حقوق الإنسان في العالم الثالث وحقه في الإتصال.. وفي الإعلام بنفسه بدلاً من هذه العلاقة القائمة والتي تجعل فئة مهيمنة وفئة خاضعة مغلوباً على أمرها.. لاشك أن مثل هذا النظام الجديد سيجد له في ميثاق الأمم المتحدة والأعراف الدولية المحترمة لحقوق الإنسان ما يدعمه ويبرره ويبرز منطقيته، ولكن هذا النظام الجديد لن يكون من السهل الوصول إليه، فدونه ما دونه من صعوبات وكما يقولون دونه قطع الرقاب.. أو خرط القتاد .

إذا كان من الطبيعي في أيامنا أن نسعى إلى تحقيق نظام عالمي جديد يقوم على أساسه وبمقتضاه علاقات الدول في شتى المجالات، فقد بات من الطبيعي أن يحاذي هذا - لتدعيمه وتثبيت أقدامه - نظام عالمي جديد يتصل بالإعلام، كفيل بالإستجابة لرغباتنا. إن هذه الفقرة المقتبسة تعبر تماماً عن السؤال عما ينبغي أن ينطوي عليه هذا النظام العالمي الجدي للإعلام فرغم أن الرأي العالمي يزداد تقبلاً لمبدئه إلا أن مضمونه مازال غير محدد .

وينبغي التأكيد على أن هذا النظام الجيد يتطلب إعادة تكييف كاملة، فهو ليس وصفة جاهزة قادرة على تحويل الوضع الجائر بين ليلة وضحاها إلى وضع أقل جوراً، فالوضع الراهن نتاج تاريخ طويل، ولذلك يمكن إصلاحه سريعاً، والأحرى أن يكون الهدف هو البدء في عملية في هذا الصدد على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، لأن الأمر يحتاج إلى تدابير محددة فعالة في مناقشات أكاديمية^(١) .

ولعل من أهم الركائز لهذا النظام هو أن تسير الدول النامية بصورة جادة نحو الإستقلال الثقافي والإعلامي الأمثل.. حتى تصبح دولاً منتجة في هذه القطاعات وليست مجرد مستهلكة وعالة على الدول الكبرى.. ولا بد أن يسمع صوتها دولياً حتى تدخل هذه الحقيقة إلى عقل ووجدان الدول الكبرى، لتقتنع بأن هذه الدولة مظلومة ومهددة الحقوق.. وتساعدنا بعد أن

(١) النظام العالمي الجديد للإعلام، وثيقة مقدمة من الأستاذ/مصطفى المصمودي، كاتب الدولة للإعلام التونسي، اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام.

تساعد الدول النامية نفسها.. بالعلم، وباستشعار المشكلة ، فما لم تشعر الدول بطبيعة هذه المشكلة.. فإن أحداً لن يتقدم لنجدها. ولهذا، فلا بد أن ندرك جميعاً أبعاد وخطورة الوضع الراهن ثم نعمل كما ذكرت على إيضاح الأمر للرأي العام العالمي.. وإثارته واستنفار المؤسسات والهيئات الدولية حتى يدرك الجميع طبيعة وضعنا وحقيقة مشكلتنا..

وهناك أهمية كبرى تقع على عاتق القادة.. والمنظرين للأمة.. والمفكرين فيها لكي تتخذ الخطوات المناسبة في الطريق الصحيح.. وأهمها أن يكون لدينا تعريف واضح.. وسياسة محددة.. تترجم هويتنا الثقافية.. ومعطياتنا الحضارية وتوجهاتنا التربوية، على أسس واضحة من عقيدتنا، وقيمنا، ومقوماتنا، وأن نربط ذلك كله بالسياسة الإعلامية وخطط التنمية الإقتصادية والإجتماعية لبلادنا جميعاً، ثم نعرف موقفنا من هذا العالم الذي يؤثر فينا.. ومن المفروض أن نؤثر فيه. ولاشك أن عملية الترابط داخل التراب الوطني مهمة جداً.. ثم داخل مجموعاتنا السياسية والإقليمية.. وهكذا، إلا فكيف نريد من العالم أن يفهمنا إذا لم يفهم بعضنا بعضاً.. وأن يقدرنا إذا لم يقدر بعضنا بعضاً؟

أليس من المفارقة المحزنة أن لا نعرف معلومة أو خبر عن الأردن إلا عن طريق وكالة أنباء رويترز؟ وأن لا نعرف عن بنجلاديش إلا أنها دولة تكثر فيها الإضطرابات والقتل والفيضانات والفقر، لأن وكالات الأنباء لا تنقل إلينا إلا هذه الصورة القاتمة السوداء عن هذا البلد المسلم الشقيق؟ إن هذه المفارقات المحزنة ما هي إلا صورة المعاناة التي نعيشها في عالمنا الإسلامي بسبب إعتقاد وسائل الإعلام لدينا على وكالات الأنباء الأجنبية في معرفة أخبار بعضنا بعضاً. بالإضافة إلى محدودية حجم هذه الأخبار، فإنها لا تمثل الواقع إذ لا تقدم منه إلا ما يتعلق بالكوارث والقتل والسلبات ، أما غير ذلك من الأخبار الإيجابية فهي لا تمثل قيمة حقيقية لوكالات الأنباء الغربية، لأن مفهوم الخبر الغربي يقوم على الإثارة الصارخة. ولهذه المعاناة

صورة أكثر إيلاماً وأبشع تأثيراً، فوكالات الأنباء الأجنبية هي التي تصنع الرأي العام العالمي وتشكل رؤيته عنا نحن العرب والمسلمين ، لا عجب أن ينظر العالم إلينا نظرة الازدراء على أننا قوم همجيون قساة القلوب نعبد المال والجنس ونحتقر المرأة ونحب الحرب ونكره السلام. ولا عجب أن ينظر العالم إلى ديننا تلك النظرة الغربية الأخرى التي تمتد تلك النظرة بأسباب البقاء والنماء، كما أنها تشحن أذهان الناس بكل ما يرسخ معالم الصورة الذهنية البشعة عنا والتي تكونت لديهم عبر الأيام^(١).

وعلينا أن ندرك أهمية بناء الرجال الذين يقومون على تنفيذ هذه السياسة.. وحمل أعباء تسيير مثل هذه المشروعات التي تحتاج إلى همم.. وعمل.. وحزم.. وتتابع وجدية.. ورؤى واضحة..

ولابد أن نأخذ في الاعتبار رغبة الناس لدينا في مشاهدة البرامج الوافدة مالم يتوفر لهم البديل الجيد مع ضرورة: أن يقدم المجتمع منافساً بديلاً من ثقافته ومجتمعه بحيث يستقبله الجمهور ويستعيضه عن تلك القنوات الوافدة العالمية المفروضة ، ولكن هذا الخيار الصعب، فإيجاد تلك المادة المنافسة ليس مما يسهل توافره، ولا أريد أن استفيض حول هذه النقطة فهذا دور ومسؤولية الإعلام والإعلاميين العرب .

ولكن ما أحب أن أؤكد هو أن البرنامج الحسن الاعداد مادة وإخراجاً يكسب جمهوراً غفيراً، حتى وإن كانت مادته علمية دسمة، بل إن هذه المادة هي التي تجذب ولاء الجمهور، وليست السطحية والإثارة العابرة التجارية هي الأصل كما يدعي أصحاب الأعمال التجارية البحتة^(٢) .

إن الدراسات التي أجريت جميعها تؤكد لنا حاجة الشباب إلى برامج التلفزيون وإقباله عليها حتى قبل البث العالمي بكل إغراءاته ، فكيف إذا عم

(١) واس وهذا الحلم الجميل - مقالة للدكتور/عبد القادر طاش - مجلة اليمامة - العدد ٩٢٧، ٧/٨/١٤٠٧هـ.
(٢) مسؤولية الإعلام تجاه تجارب التقليد في المجتمع العربي المعاصر، د/أبو بكر باقادر، من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.

الكون بث مكثف من كل نوع كما هو حاصل في أمريكا وأوروبا ، عندها كيف سيكون الوضع وما هو المخرج .

ولقد أوضحت بعض الدراسات التي أجراها إتحاد الإذاعات والتلفزيون في جمهورية مصر العربية في عام ١٩٧٦م حول تعرض الشباب لوسائل الإعلام المختلفة: «أن ٦٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام فإذا طبقنا هذه النسبة على تعداد مصر الآن وقد بلغ عددهم وفق تعداد عام ١٩٨٣م (٤٥مليون نسمة) ٢٦٪ منهم من الشباب لتبين أن عدد مشاهدي التلفزيون بانتظام من الشباب في مصر يصل إلى حوالي ١٦ مليون شاب".

وتزيد هذه النسبة في حالة الإذاعة فتصل إلى ٩١٪ وتصل بالنسبة للصحف اليومية إلى ٦٧٪، والمجلات ٥٩٪، والكتب ٤٣٪، والسينما ٧٠٪، والمسرح ٢٤٪.

وفي بحث أجري في لبنان حول الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون على الشباب وشمل عينة تصل إلى ٣٨١ شاباً في عام ١٩٧٩م، أي قبل الأحداث المؤسفة هناك تبين أن ٧٥٪ منهم يشاهدون التلفزيون بانتظام، وأن ٦١٪ يفضلون القراءة .

وفي بحث في الكويت عام ١٩٨٢م على عينة وصلت إلى ٢٠٥٦ شاباً بهدف التعرف على اتجاهات الشباب نحو المطالعة في المجتمع الكويتي المعاصر، تبين أن التلفزيون صرف ٦٢٪ منهم عن القراءة، في حين أن الإذاعة لم تصرف إلا ٢٤٪ والسينما ٢٣٪.. وعندما نتحدث عن مشاهدة التلفزيون بانتظام، فإننا نعني بذلك المشاهدة التي تصل في المتوسط ما بين ثلاث وأربع ساعات يومياً، كما ثبت من بحث مقارن أجراه عام ١٩٨٢م على خمسة أقطار عربية المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين التابع لإتحاد إذاعات الدول العربية .

ومن هنا تظهر خطورة الدور الذي يلعبه التلفزيون في حياة الشباب في المنطقة العربية والآثار التي يمكن أن تترتب على هذه المعاشة اليومية..

ولعله من المفيد أن نشير إلى بعض نتائج بحث أجراه إتحاد إذاعات الدول العربية في عام ١٩٨٣م حول اتجاهات البرمجة التلفزيونية في الوطن العربي، تم فيه التحليل الإحصائي للبرامج التلفزيونية في خمسة أقطار عربية، هي: الجزائر، تونس، مصر، سوريا، اليمن الديمقراطية، وقد تبين أن نسبة المواد الأجنبية المستوردة من خارج المنطقة يصل في المتوسط إلى ٣٠٪ من مدة الإرسال وهو يصل في بعض الأقطار العربية إلى ٥٠٪ من هذه النسبة^(١).

وبالجملة، فإن الأمور تقودنا إلى حقيقة لا مراء فيها، وهي أن تلفزيوناً بلا حدود سوف يؤثر، وسوف يسهم في زيادة الجريمة وتنوعها، ولكن هذه الزيادة وهذا التنوع يتناسب تناسباً عكسياً مع مقدار ما نستطيع أن نفعله في مجال التربية والتوعية وتحمل المسؤولية، والنظرة المستقبلية والتصريف الحضاري، واستشعار هذا الخطر، والإستعداد له بصورة علمية وفاعلة، وخطوات جادة نتحمل فيها جميعاً المسؤولية، حكومات، وشعوب، وأسر، بل وأفراد..

ومن المهم أن تكون نظراتنا واقعية.. وتحركاتنا محسوبة بدقة.. وخططنا بعيدة عن الخيال والوهم.. وأن تتعاون جهات التعليم والثقافة والإعلام لصناعة الرجال القادرين حتى لا يحدث الخلل الذي أشرت إليه سابقاً.. وينتج عنه بطالات بشهادة عالمية.. في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى أيد.. مدربة تحمل أعباء التنمية في البلاد.

ومن ينظر إلى المستقبل يشعر بخوف كبير، فهذه القنوات تتوسع أكثر فأكثر، وتستخدم أحدث التقنيات، وأكثر المؤثرات، وتعلم أكثر منا ما يصلح وما لا يصلح للتأثير على أجيالنا، ونحن أمة متقاعسة لا حول لها ولا قوة، ولا تجمعها وحدة إعلامية، ولا وحدة ثقافية، ولا تخطيط للسير نحو مستقبل أفضل ندفع فيه على الأقل هذا البلاء الذي أحاط بنا.

(١) البرامج التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية بماذا تعد الشباب - الأستاذ/سعد لبيب - من أبحاث الندوة العلمية الخامسة للمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب - الرياض.

إننا في حاجة جادة إلى تغيير جذري لمسيرتنا نحو المستقبل ، نأخذ في الإعتبار مسيرة العالم الحديثة، والتقنيات العظيمة التي طرأت عليه، وثورة الإتصالات، وثورة الوسائل التعليمية لنسد الفجوة بيننا وبين العالم الآخر من ناحية ولننهض بتعليمنا في البلاد الإسلامية من ناحية أخرى ، ولا بد من التخلص من هذا القنوط والخمول واليأس الخبيث الذي يقتل الهمم ويكبل المسيرة ويعطل الحركة ويجعلنا أمة لا تعي أبعادها المستقبلية .

وكلما استعرضنا الصور الحاضرة نلاحظ غياب الجدية وعشوائية التحرك وهزلية الخطى، مع أن المسألة تحتاج إلى تخطيط سليم ومدروس ومنهج للإنتاج يأخذ بيدنا نحو ركائز التقدم .

وكنت أتابع منذ فترة عملية نقل الأخبار من العالم الإسلامي إلى خارجه، فوجدت أن هذا العمل فيه كثير من الخطورة والخبث لأنه يأخذ نفس الخبر من العالم الإسلامي ويشوّهه بإدخال مزيد من العبارات عليه فإذا ما قمنا بمحاولة التصحيح فإن قدراتنا الإعلامية ضعيفة ولا تصل إلى الطرف الآخر، وإذا وصلت فهي ضعيفة، وكذلك إذا بدأنا نحن بالبث من خلال وكالات الأنباء ومصادر الأنباء الإسلامية فالناس في الغرب لا يثقون فيها، وذلك بسبب ما أحاط بها من دعاية أبعدها عن روح المصادقية والعلم الصحيح .

وإنني ممن يشعرون بأننا قد دخلنا عصر التقنية والأقمار الصناعية والذي فرض نفسه بصورة خاصة في مجال الإعلام، وأحدث ثورة كبيرة، لهذا فمن المهم أن نستفيد منه ونصحح الصورة المغلوطة على الإسلام والمسلمين في أذهان الغرب .

ثم إنه لا بد من أن نعد كوادرنا الإعلامية ونجعلها قادرة على العطاء وعلى مخاطبة الرأي الآخر ومن هنا تكون الانطلاقة..

أيضاً لا بد لنا من مزيد من الإتصال للحوار مع الغرب، وطرح قضايانا بصورة موضوعية وأمينية، فالحوار هو وسيلتنا للوصول إلى هؤلاء الناس بشرط أن نلتزم بالصدق والأمانة والموضوعية .

وهناك نقطة هامة وهي ضرورة الإتصال بالفئات المؤثرة في المجتمعات الخارجية، وكذلك التنسيق فيما بيننا في مراكزنا العربية والاسلامية لتكوين عمل منظم وجهة واحدة ولا بد من توعية أجيال الأمة بخطورة القادم .

ثم نأتي إلى إقتراح مهم وهو أهمية إنشاء قنوات عربية قوية تصل إلى الغرب يشترك فيها العالم العربي والإسلامي وتكون قادرة على البث وكذلك في مجالات الأنباء لابد لنا من وكالة أنباء قوية، وقد سررت بما طرحه سعادة الشيخ/صالح كامل ، العام الماضي من مشروع سماه (شبكة الرؤيا المحايدة) وهي وكالة إعلامية عربية تهتم بنشر الخبر المعتمد على المهنية والمصداقية وتتعامل مع الحدث بحيادية كاملة بعيداً عن التعصب والإقليمية، وتغطي الوكالة الأحداث أينما تواجدت في مدن العالم خصوصاً تلك الأحداث المتعلقة بالمجتمعات والجاليات العربية والإسلامية ويكون هدف الوكالة السعي لاكتساب ثقة وسائل الإعلام المختلفة في أرجاء العالم وتحفيز نسبة مميزة منها للإشتراك في خدماتها ، وتعمل الوكالة من خلال أنشطتها على تبيان مظاهر التعايش السلمي للجاليات وأصحاب الملل المختلفة على مدى العصور مع المجتمعات العربية والإسلامية وعمق الانصهار بين مختلف التوجهات لبناء حضارة مميزة ورائدة .

وختاماً نسأل الله أن يوفقنا لتحقيق الهدف المنشود من خلال إعلام يبث روح التآخي ووحدة الشعور والعاطفة بين المسلمين ويؤكد على الهوية الإسلامية والانتماء العالمي ، ويربي أبناء الأمة على العزة والكرامة ، ويعالج الحساسيات القومية والطائفية والإقليمية والحدودية والموروثة ويوضح للأمة مصيرها المشترك أمام التحديات والتهديدات المحدقة .

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل،،